٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

التراث

نشرة شهرية متخصصة
تعنى باحياء تراث علماء الشيعة

المجلس التنفيذي
ملف إحياء تراث علماء الشيعة

مقام العلامة
الحجة الشيخ موسى أمين شرارة (طاب ثراه)
١٢٦٧ – ١٣٠٤هـ.

السنة السادسة ـ عدد سبعون- جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ - آذار ٢٠١٨م

جمعية الإمام الصادق(ع) لإحياء التراث العلمائي

لاستفساراتكم واقتراحاتكم يرجى التواصل على العنوان التالي:
www.toorath.org
70 - 61 68 08

تصميم وطباعة شركة DEBOUK 00961 3 336218

بطاقة عالم:

العلامة الشيخ بشير بن مصطفى آل حمود الشوكيني العاملي، المتوفى في شوكين سنة 1365هـ الموافق 1946/5/27م، بعد أن قرأ المقدمات في جبل عامل، هاجر إلى النجف الأشرف سنة 1354هـ، فقرأ فيها على الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني، والسيد محمود المرعشي.

كان الشيخ بشير فاضلاً شاعراً وأديباً، اتسم بمكارم الأخلاق، فحازعلى سلامة القلب، وكان ممّن التفتوا إلى أنفسهم، فهذبها، حتى بلغ مراتب سامية في صفاء النفس، ومن الذين وهبهم الله تعالى ذهنية وقّادة وحافظة إستثنائية. ينقل أحد تلامذته، أنّ الشيخ بشير قد حفظ نهج البلاغة وأكثر من ثلثي القرآن الكريم، ويحفظ المطالب العلمية بسرعة.

وبعد مضي حوالي تسع سنوات على وجوده في النجف الأشرف، وقع في قلبه أن يذهب إلى لبنان، ليجدّد العهد بأخوته وأرحامه والأصدقاء، وينقل أستاذنا الشيخ محمد تقي الفقيه، بينما هو والشيخ بشير عائدين إلى البيت بعد صلاة الجماعة بالمسجد الهندي، عرض الشيخ بشير فكرة السفر على الشيخ محمد تقي، فنهاه عن ذلك وقال له:» أنت بلغت المرحلة الأولى من الفضل، وإذا ذهبت إلى لبنان سوف يجتمع عليك الناس، وتشعر أنّ الواجب يدعوك للبقاء، وخصوصاً إذا تذكرت الألام والمصاعب في النجف».

ولكن الشيخ بشير انفجر بالبكاء وأخذ يحلف الأيمان المغلّظة، أنه لن يعيش كثيراً أو سيموت ضمن هذه الأربع سنوات، وأدخله الشيخ الفقيه إلى المنزل وتناولا طعام الغداء، وسأله كيف تحلف هذه الأيمان على أمر لا تعرفه، فأنكر الشيخ بشير أنه قال هذا الموضوع، وأنه لا يتذكر شيئاً وأصرّ على الكلام.

يقول الشيخ محمد تقي الفقيه، كان أمراً غريباً أن ينسى ما قاله الشيخ البشير، وبالفعل لم يعش بعد هذه الحادثة أكثر من سنتين.

شخصية العدد

العلامة الحجة
الشيخ موسى أمين شرارة

ليس غريباً على علماء الإمامية، وبالأخص علماء جبل عامل أن يصلوا إلى مراتب عالية (في العلم)، ومقامات سامية في حسن الخلق، والملاكات التي أهّلتهم للإرتقاء في مصاف الأولياء، الذين حازوا على عدالة جعلتهم يُحلّقون في سماء عدالة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وكما عبّر الإمام السيد روح الله الخميني (طاب ثراه): **«أن تكون عدالة مرجع التقليد في حَدِّها الأعلى تُلامس الحد الأدنى من عدالة الأئمة المعصومين عليهم السلام».**

وإذا كان الشيخ موسى أمين شرارة، قد توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة، فهو في هذا السّن المُبكر قد حاز على ملكتي العلم وإصلاح النفس، فكان العالم القدوة، ورغم بُعد السنين،لازال ذكره حاضراً بين أهل العلم، ومنارةً لأهل جبل عامل، حيث استطاع خلال فترة لم تتجاوز الست سنوات، أن ينهض بجبل عامل، على الصعيد العلمي والأدبي، والإصلاح الإجتماعي، مضافاً لإصلاح المنبر الحسيني، وسوف نستعرض كلّ هذه التفاصيل والإجازات خلال خطّنا لسيرته رحمه الله.

ولادته ونشأته

ولد رضوان الله عليه في مدينة (بنت جبيل)[1]، التي كانت ولازالت إحدى منارات جبل عامل، التي ساهم علماؤها وأُدباؤها وأعيانها، في إصلاحات أساسية على صعيد جبل عامل، فالشيخ موسى ولد في هذه المدينة في سنة ١٢٦٧هـ في بيت رجلٍ مؤمن مُتفقّه، وهو الشيخ أمين شرارة، وكان يرتدي (لفة عطربوش).

في تلك الفترة كان جبل عامل، قد بدأ يستعيد حضوره العلمي، ويُلملم جراحه، جراء النكبة التي أصابته على أيدي العثمانيين سنة ١١٩٥هـ ١٧٨١م، ممّا أدى إلى قتل وسجن بعض العلماء وحرق المكتبات العلمية، وتشريد العلماء إلى خارج جبل عامل، وبعد هلاك الوالي العثماني المجرم أحمد باشا الجزار سنة ١٨٠٤م - ١٢١٩هـ بدأ جبل عامل يستعيد عافيته، من خلال المدارس الدينية التي شيّدت بأزمنة متفاوتة، فكانت الأولى في (كوثرية السياد) التي شيّدها الشيخ حسن القبيسي، ثم نهضت مدرسة (النميرية) و(جباع) على يدي السيد علي إبراهيم المتوفي ١٢٦٠هـ والشيخ عبد الله نعمة المتوفي سنة ١٣٠٣هـ وفي سنة ١٢٦٦هـ عاد الشيخ محمد علي عز الدين من العراق وشيّد مدرسة في (حناويه)، والشيخ مهدي مغنية، شيّد مدرسة في (طيردبا)، والسيد علي محمد الأمين الحسيني أعاد الحياة إلى مدرسة جدّه السيد أبو الحسن موسى الحسيني في (شقراء).

في تلك المرحلة كان المرحوم الشيخ جعفر مغنية المتوفى سنة ١٢٨٣هـ من المتخصصين بالعلوم العربية، وقد درس في (جباع) في مدرسة الشيخ عبد الله نعمة، وفي طيردبا في مدرسة الشيخ مهدي مغنية، وكان يمتلك أسلوباً رائعاً في إيصال الفكرة وتفهيم الطلاب، وله فضل على علماء تلك المرحلة، حيث ساهم في بناء أساس متينٍ لهم، وهذا ما ظهر في النجف الأشرف، حيث استطاعوا أن يتميزوا عن بقية زملائهم.

وعند عودة الشيخ محمد علي عز الدين إلى جبل عامل، التحق به الطلاب ودرسوا عليه في (حناويه)، وكان رحمه الله من العلماء القدوة الذين ربّوا الطلاب وهذّبوا أنفسهم، وهنا ينقل الشيخ إبراهيم حفيد الشيخ محمد علي عز الدين، عن الشيخ جواد السبيتي قائلا: «**قال أستاذنا شيخنا المحقق الشيخ**

(١) بنت جبيل (بكسر الباء الموحدة وسكون النون بعدها تاء تلفظ ساكنة، وجبيل بضم الجيم وفتح الباء الموحدة وسكون الياء بعدها لام).
تبعد ١٢ كلم من تبنين جنوبا ومثلها شمالاً من صفد، من قرى جبل عامل الكبيرة، وهي تقع جنوب جبل عامل على حدود فلسطين المحتلة. ترتفع عن سطح البحر ٧٧٠م وتبعد عن صيدا ٨٣كلم، وعن بيروت ١٢٢كلم، وعن النبطية حوالي ٩٠كلم، مساحة أراضيها ٣٢٠ هكتار.

موسى أمين شـرارة: كنا جماعة من طالبي العلم نشتغل على الشيخ جعفر آل مغنية، وكان نحوياً أديباً عالماً، فذهب ونحن معه إلى قرية (حناويه) للإشتغال على العلامة الشيخ محمد على عز الدين، ومنهم ولده الشيخ علي عز الدين، والسيدان علي ومحمد أبناء السيد محمود الأمين، والسيد نجيب فضل الله، والشيخ حسين مغنية، وحفيده الشيخ إبراهيم عز الدين، وابن عمه الشيخ كاظم عز الدين، والشيخ محمد زغيب من بعلبك، والشيخ علي مروة وغيرهم، ثم قال: وإنّي لأتنسّم، من نسمات ذلك العصر، ومن روحه وريحانه، ريح الجنة وقد أماط عن قلوب بنيه ريح الحسد والبغضاء، والأنانية والرياء..»

كذلك درس الشيخ موسى في (جباع) على أحد أساتذة مدرسة الشيخ عبد الله نعمة، الشيخ مهدي شمس الدين صاحب المدرسة الدينية في (مجدل سلم)، وكان قد قرأ عليه (القوانين في الأصول) للمحقق القمي.

قرار التوجه إلى النجف الأشرف

إذ كان ولا بُدّ من التوجه إلى العراق، لاستكمال الدرس على أساطين النجف، وخصوصاً أنّ علماء جبل عامل في تلك الفترة لم يكن لديهم متّسع من الوقت للتفرغ لتدريس الطلاب، فجبل عامل بحاجة إلى إعادة ترميم وضعه الإجتماعي بعد التصدّع الذي أصابه جراء النكبة، فتوجّه الشيخ موسى إلى النجف سنة ١٢٨٨هـ وصل النجف وهو أحد الفضلاء الذين قد قطعوا شوطاً في (العلم)، ولهذا نراه يصل بسرعة إلى مرتبة عالية في العلم، خوّلته لأن يتصدّى إلى تدريس (البحث الخارج)، لكن الذي طلب منه الإعراض عن هذا الدرس، هو كبير فقهاء العرب الشيخ محمد طه نجف، الذي رأى أنّه لازال مبكراً الشروع في تدريس البحث الخارج، وخصوصاً أنه يُوجد من هو أفضل منه، ولم يُعارض الشيخ موسى الفكرة، إنّما تقبّلها بكل رحابة صدر، فلم يعترض أو يناقش، وهذا له علاقة بالإخلاص والصفاء الذي حاز عليه، كان همّه أن يستفيد الطلاب، وعندما رأى أنهم يمكن أن يستفيدوا على الشيخ نجف، فجاء مع طلابه وحضروا درس الخارج على الشيخ محمد طه نجف.

لم يكن هـمُّ الشيخ موسى في النجف قطع الأشواط بسرعة، وإنّما كان يُعيد دراسة الكتاب في بعض الأحيان، لتكون دراسة تحقيق وتدقيق، وهنا يُشير أحدٌ ممّن عرفه عن قرب وتتلمذ في مدرسة في بنت جبيل سنة ١٢٩٨هـ أنّ الشيخ موسى درس (القوانين) في الأصول مرتين على الشيخ ملا علي الهمداني، وهو من أجلّة تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١هـ كما قرأ الشيخ موسى على المحقق الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب (كفاية الأصـول) والمتوفى سنة ١٣٢٩هـ فدرس عليه الأصول، كما قرأ الفقه على الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ كما درس الحكمة المتعالية والعلوم الرياضية والفلسفة، على علماء أعـلام، منهم الشيخ محمد تقي الإيرواني المتوفى سنة ١٣٠٦هـ كذلك حضر على الشيخ ملا حسين قلي، المتوفى سنة ١٣١١هـ وحضر معه

السيد يوسف شرف الدين، والسيدان حيدر وجواد مرتضى من (عيتا الجبل).

بينما كان الشيخ موسى مشغولاً بالدرس والتحصيل والتدريس، وليس بباله العودة سريعاً إلى بلاده، وإذ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فأصيب بمرضٍ صدري، وهذا المرض ينتج غالباً عن سوء المناخ وسوء التغذية، وخيّره الأطباء بين البقاء في النجف وأخذ العلاج، وبين التوجه إلى بنت جبيل، فماؤها عذب وهواءها عليل، ويصلح لمعالجة الأمراض الصدرية. فاختار الشيخ موسى العودة إلى بلاده وكان ذلك سنة ١٢٩٨هـ ولعلّ الإرادة الإلهية أرادت للشيخ موسى العودة إلى بلاده لأجل القيام بنهضة علمية وبمشروع إصلاحي، فكان طلابه رواد العلم والإصلاح في جبل عامل وسوريا.

هذا هو السبب المعروف وهو (المرض) الذي دعاه إلى العودة إلى جبل عامل وكما يرويه أيضاً السيد الأمين في الأعيان، وهو ممّن شارك في مدرسة الشيخ موسى في بنت جبيل، ولكن الذي قرأته للسيد محمد رضا فضل الله، وهو أيضاً من المشاركين إلى جنب السيد الأمين، ينقل كلاماً مغايراً مفاده: أنّ الشيخ موسى شرارة، ألحّ عليه الأعيان والعلماء في النجف بضرورة العودة إلى بلاده، لحاجتهم إليه، فاستخار الله تعالى، فاختار الله تعالى له ضرورة العودة. ولكن بتقديري، لا مانع من اجتماع السببين؛ فلربما أصيب بالمرض وفي نفس الوقت كان يصرّ عليه العلماء بضرورة العودة، فأرجع الأمر إلى الإستخارة.

الإنجازات التي قام بها الشيخ موسى في جبل عامل

فخلال الست سنوات التي قضاها في بنت جبيل قام بإنجازات تركت أثراً بالغاً على جبل عامل، منها:

الإنجاز الأول: المدرسة الدينية

وهذه الخطوة كانت من صميم مهام الشيخ شرارة، حيث كان يرى ضرورة بذل الجهد في سبيل تثبيت الحياة العلمية في جبل عامل، وعليه أن يُكمل ما أسّسه الشيخ القبيسي والشيخ عبد الله نعمة والسيد علي إبراهيم، والشيخ محمد علي عز الدين، والشيخ مهدي مغنية، والسيد علي محمد الأمين الحسيني.

وبما أنّ الشيخ موسى قد ذاع صيته، وعلى قاعدة (لكل قادم بهجة)، إنضمّ إليه الطلاب في بنت جبيل، وهم كانوا بين مبتدئ في مرحلة المقدمات الأولية، وبين من قطع شوطاً، وهنا علينا أن نعرف أنّ الطلاب الذين درسوا في بنت جبيل، لم يكونوا تلامذة الشيخ موسى، فهو أستاذ البحث الخارج، ولكن تسامحاً نحن نطلق عليهم تلامذة، وهذا نفسه ينسحب على العلماء الذين سبقوه من رواد العلم، والشيء الآخر لقب (الأستاذ) لا يُطلق على أستاذ المقدمات، وإنما على أستاذ السطوح، هذا إذا اكتفى الطالب بتدريس السطوح و لم يصل إلى مرحلة البحث الخارج، وأمّا إذا درس الخارج، فحينئذٍ يُطلق لفظ الأستاذ فقط على من درس عليه (البحث الخارج)، وهذه المعادلة يفهمها العلماء فقط ومن كانوا معنا في الحوزات العلمية.

إنتسب إلى مدرسة الشيخ موسى في بنت جبيل

العديد من الطلاب كالشيخ محمد خليل دبوق، والشيخ حسين مغنية، والسيد محمد رضا فضل الله، والسيد نجيب فضل الله، والشيخ موسى بري والشيخ موسى مغنية وغيرهم..

كان الشيخ موسى مربياً، فكان يحنّ على الطلاب ويرعى شؤونهم، ويُربيهم على الأخلاق وتزكية النفس، حيث كان يعتقد أنّ الحصول على المراتب العلمية من دون الوصول إلى المقامات السامية في تربية النفس، لا يحقق الهدف المنشود، فعمل كل خميس من ليلة الجمعة على جمع الطلاب على طريقة النجف الأشرف، من مذاكرةٍ مع الطلاب والسؤال عن أحوالهم، ومدة ست سنوات كانت كافية في تهيئة عدد من الطلاب، ليكونوا علماء أجلاء، تقوم عليهم أعباء جبل عامل، العلمي والإصلاحي، وهذا ما رأيناه في السيد محسن الأمين والسيد محمد رضا فضل الله، والشيخ محمد خليل دبوق، والشيخ حسين مغنية، والشيخ حسين أسعد بزي، والسيد نجيب فضل الله، فكانوا عمالقة بالعلم والأدب والإصلاح والتقريب بين المذاهب، وبعد رحيل الشيخ موسى، لم يجد الطلاب البديل، فالعلامة السيد مهدي الحكيم انشغل بالتبليغ والإصلاح الإجتماعي، لذلك عاد الطلاب إلى بلادهم.

الشيخ محمد مغنية، صاحب جواهر الحكم، اقترح على السيد يوسف شرف الدين والد الإمام السيد عبد الحسين، أن يُشيّد مدرسة في (طورا) لكونها تقع في وسط البلدات، على أن يجتمع الطلاب فيها مجدداً، وبالفعل فتحتت أبوابها سنة ١٣٠٥هـ واستمرت إلى سنة ١٣٠٨هـ حيث أغلقت أبوابها، مما اضطر الطلاب للمغادرة إلى النجف الأشرف، فهناك أسباب لا نعرفها، مضافاً لذهنية السيد شرف الدين الذي كان يرى ضرورة أن يدرس الطلاب في النجف، ولا يبقوا في جبل عامل، ولعلّه كان ينظر إلى تفرّغ الطالب هناك للدرس، ولوفرة الأساتذة المتفرغين للتدريس، على عكس علماء جبل عامل، المنشغلين في أكثر أوقاتهم بالتبليغ والإصلاحات.

الإنجاز الثاني: نشر الشعر والأدب

قلّما نجد عالماً من جبل عامل لا يقول الشعر، حتى وإن لم يكن محترفاً، فبعضهم كان هاوياً للشعر، وقسمٌ كان محترفاً، وهذه ميزة تنمّ عن حُسن السليقة، والذوق السليم، مضافاً لاعتقادهم أنّ التعمق في اللغة والأدب والشعر، هو من صميم مسؤولية رجل الدين في فهم الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ و أهل البيت عليهم السلام، مضافاً لتحصين اللغة، التي بات تتهدّدها الإحتلالات المتاعقبة على جبل عامل، وهذا بالتدريج سوف يُشكّل خطراً على الهوية.

لذلك كان الشيخ موسى شاعراً، ولم يكتفِ بذلك، بل عمل على نشر الشعر والأدب في جبل عامل، ولهذا قال السيد الأمين: «**لقد قام سوق العلم والأدب في جبل عامل في عهد الشيخ موسى أمين شرارة**».

وهنا مجموعة قصائد للشيخ موسى منها:

قصيدة يعاتب بها بعض أصدقائه:

كـم ذا يقاطعني مـن لا أقاطعه
وتشرب اللوم جهلاً بي مسامعه

إن مـال عني لأوهـام ووادعـني
فـإنـني وذمـامـي لا أوادعـه
ليس التلوّن من خيمي ومن شيمي
إذا تـلـوّن مـن سـاءت صنائعه

إلى أن قال:

جرى الهوى منه مجرى النفس فانطبعت
بـه عـلـى يـد هـمّـاز وشـائـعـه
شربت رنـقـاً أجـاجـاً مـن مـوارده
ومـاء حوضي لـه راقـت مشارعه

ومن قصيدة له في جواب أبيات أرسلها له أحد أحفاد الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر:

ألا أيها القلب الـذي قـاده الحب
أفـق إنّ أمـر الحب أيـسـره صعب
إذا كـان لا يُسليك طـول تجنّبٍ
وصـد ولا يشفيكَ مـن غـلّـة قرب
فـمـا أنـت إلا هـالـك ومـعـذب
رهين بأيدي الشوق مرتهن حبّ
تكلفني مـا لا أطيق مـن الهوى
وترحل عني حين حل بي الخطب
سألقي عصا تسعى إليه كحيّة
تكاد لها الأحـشـاء تذهب واللبُّ
وعندي من السمر الرماح عوامل
طوال وبيض شأنها الطعن والضرب.

الإنجاز الثالث: إصلاح المنبر الحسيني

كان الشيخ موسى يرى أن المنبر الحسيني ركيزة أساسية في حماية هذا الدين، ومشروع استنهاض الأمـة، ويصلح لأن يكون معبراً إلى وحدة المسلمين، فالذين تآمروا على (عاشوراء) كثر ومنهم بعض الشيعة الأغبياء أو المرتبطين بالعدو، وهـذا يلزم من المخلصين أن يبذلوا جهوداً مضاعفة كي لا تنحرف المسيرة ولا تضيع الحقائق، ويوضّحون للناس حقيقة (عاشوراء)، كي لا يسودهم الجهل والعصبية اللعينة، التي تكون معبراً للكيد والفجور والتآمر في بعض الأحيان. من هنا عمد الشيخ موسى إلى رفض (المقتل) المتعارف عليه عند الناس - وكان قد كتبه بعض البحارنة - ووجّـه الناس إلى قـراءة (مقتل ابن طـاووس)، كما عمد إلى إدخال القصائد وكلمة رجل الدين الهادفة، قبل مجلس العزاء، لأن قرّاء العزاء لا يمتلكون القدرة على الإيفاء بالغرض، وهذا ليس عيباً فيهم، فقدرتهم محدودة، فهم -جزاهم الله خيراً على هذه الجهد- لولاهم لما تطوّر المنبر الحسيني، وما وصلنا إلى هذا المستوى المعقول.

وأنا أعتقد أنّ الشيخ موسى فتح باب الإصلاح، وهذا عمل عليه السيد محسن الأمين، في سوريا، ولكنه واجه متاعب ومشاكل كثيرة، نتيجة تعصّب البعض وعدم إدراكهم أنّ السيد الأمين هو في عاصمة الدولة الأموية، ولا يمكن أن يقدم للمنبر الحسيني أكثر من هذا. وفي الحقيقة نحن وقعنا في بعض الأحيان بين إفراطٍ وتفريط، لهذا مطلوب أن نبذل جهوداً كبيرة في سبيل تطوير المنبر الحسيني، وهذا يحتاج إلى علماء وأدباء وشعراء ومفكرين وأصحاب اختصاصات مختلفة، فالمنبر الحسيني لو أحسنّا استخدامه لكان

المشعل الذي يضيء الطريق أمام المظلومين في العالم، ولتحوّلت قضية عاشوراء إلى عنوان يقتدي به العالم، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.

الإنجاز الرابع: التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية

وخصوصاً في العهد العثماني الذي كان يصطاد في الماء العكر، وسياسته قائمة على التعصّب والجشع، والسير خلف وعاظ السلاطين والمتملّقين من أهل الجهل والكيد والحسد.

وهناك لقاءات عديدة حدثت مع الشيخ موسى، ظهر فيها داعياً للوحدة والحوار والتقريب بين المذاهب.

ذات يوم زار الأمير عبد القادر الجزائري قرية (ديشوب) التي يقطنها المغاربة، وهي مجاورة لجبل عامل، فدعاه الحاج محمد بزي وهو أحد الوجهاء، إلى ضيافته في بنت جبيل، ولما حضر زاره الشيخ موسى شرارة، واطلع الجزائري على علم وفضل الشيخ موسى، فصار لا يفارقه، وبطبيعة الحال كان الشيخ موسى يدعو للحوار والتسامح والمحبة والوحدة بين المسلمين.

لم يكتفِ الشيخ موسى بالوعظ والإرشاد، وإنما عمل بإصلاح ذات البين وفصل الخصومات، وكان الناس يعتقدون به ويطيعونه، وهذه العلاقة مع الناس، لم تكن بسبب مصالح مادية أو نفوذ سياسي، وإنما هي مودة زرعها الله تعالى في قلوب المؤمنين، وإيمان يعتقد به الناس، وهذه ميزة علماء الدين عندنا، الناس ينظرون إليهم أنهم ورثة الأنبياء، وهم نواب الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف في غيبته.

وهذه ميزة إضافية تسجل لعلماء جبل عامل، فهم وإن لم يذهبوا إلى النيابة العامة للإمام عجل الله فرجه الشريف، إلاّ أنهم وسّعوا من صلاحيات (الفقيه)، وأعطوه صلاحيات ونفوذ، حتى ظن من لا خبرة له بـ (الفقه)، أنهم يذهبون إلى النيابة العامة.

لو قدر أنّ الله تعالى منّ على الشيخ موسى بطول العمر، لكان سار على طريقة الشهيد الأول، والثاني والمحقق الكركي، من توسعة دائرة صلاحية الفقيه، ولكن ما أنجزه خلال الست سنوات في مرحلة قاسية، يُعتبر إنجازاً كبيراً، ولازالت آثاره إلى اليوم، ففي وقتٍ قصير، شيّد الحوزة العلمية، وأطلق العنان للشعر والأدب، وأصلح المنبر الحسيني، ودعا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وشيّد المساجد ورمّمها، فقد سعى في بناء المسجد الكبير في بنت جبيل وتمّ ذلك سنة ١٣٠٠هـ، وأرّخه الشيخ موسى في بعض أبيات منها:

لله بيت قام مبنياً على
تقوى من الله العلي فعلا
فنال بانيه رضى ورحم
والله برٌّ لا يضيع عملا
في بيته أعبُدُه وتب مؤرخاً
يَهدِكَ واسجد واقترب مبتهلا

كان رحمه الله صاحب خلق وصدرٍ رحب، وكان يُبالغ في احترام السادة الأشراف واحترام العلماء، وقصته مع السيد يوسف شرف الدين معروفة، عندما ترك (شحور) بسبب فتنتة ظالمة، وذهب إلى بنت جبيل، فخرج الشيخ موسى لاستقباله مع أهالي البلدة، ثم قاسمه أعماله ونشاطه.

أما مصنّفاته

فكما أشرت لم يكن في العمر فسحة ليحقق أكثر ممّا فعل، ومع ذلك رغم العمر القصير، إلاّ أنه كان مُباركاً، وقدّم فيه الشيخ موسى بعض الآثار العلمية لتكشف عن المكانة العلمية التي وصل إليها وهي:

١- منظومة في الأصول سماها (الدرة المنظومة)، جمع فيها آراء القدماء والمتأخرين، بنظم قليل اللفظ كثير المعنى، وكما قال السيد محمد رضا فضل الله: «**لقد أعرب في هذه المنظومة عن فضل واسع، وسهولة كلّ دان وقاص**»، وكان بعض مشايخه يستشهد بها على المنبر إعجاباً. وهناك من قام بشرحها، كحفيده الشيخ موسى عبد الكريم وغيره..

٢- منظومة في المواريث

كتاب بالفقه، يقول السيد محمد رضا فضل الله: لم يسمح الدهر بإتمامه واشتغل عنه بمقاساة ألم المرض.

٣- رسالة في تهذيب النفوس

٤- القصائد الكثيرة

أما ما قيل في حقه:

- السيد الصدر في تكملة أمل الآمل عبّر عنه:» أحد حسنات هذا العصر».

- والسيد محمد رضا فضل الله، قال: «**مصباح الهدى وعلم التقى، حبل الله المتين وحكمه المبين، العلم العلامة والحبر الفهامة، ركن الدين وعماد المؤمنين، كان بعيد الغاية، طويل النهاية، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، تتفجر ينابيع الحكمة عن لسانه إلخ..**».

إرتحل عن دار الدنيا ليلة الخميس الواقع في ١١ شعبان ١٣٠٤هـ.

يصف تلامذة المدرسة منهم -السيد محمد رضا فضل الله المتوفى ١٩١٧م أثناء الحرب العالمية الأولى في بلدة (قانا) - تشييع العالم المربي الشيخ موسى، وممّا قاله: «**جاءت مواكب تتلوها مواكب، على ثمانية فراسخ من سائر الجهات من علماء وقضاة وعشائر وحكام إلى غير ذلك على اختلاف أصنافهم في جمع عظيم ومحفلٍ حاشد، لو قلنا أنهم نيّف وثلاثين ألفاً لم نبعد عن الصواب، فرُفع سريره في الساعة التاسعة من النهار، وهناك بيت شعر من قصيدة للسيد محمد رضا:**

أخــذوا قـوائـمـه على رعـب بهم
رُعــش الأكــفّ طـوائـش الأحـلام

ثم أضاف السيد محمد رضا فضل الله: «**وحشدوا عليه حشد الهيم على ورود الظمأ لا يستطيعون بسط الخطى لكثرة الإزدحام كأنما يوثقون بالقيود**».

ورثاه أحد تلامذة مدرسة الشيخ حسين مغنية وممّا جاء فيها:

حـمـلـوه فـاثـاقـل الـنـعـش فيه
فـاسـتـخـفّـوا بـه الـجـبـال الـثـقـالا
كـاد لـولا زُمَـر الـمـلائـك حفّت
فيه للحد مـا اسـتـطـاعـوا انتقالا
مـلأوا الـبـيـد صـراخـاً وعـويـلاً
حتى جـرى فيض الـدمـوع سيولا

صدر حديثاً..

كتاب
«الشيخ محمد حسن الحر العاملي المشغري – الفقيه والمحدّث»

من نتاج المؤتمر العلمي الذي نظمته جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي في مشغرة (ذي الحجة 1438هـ - الموافق لشهر أيلول 2017م)، برعايةٍ كريمة من حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله (حفظه الله)، ممثلاً برئيس المجلس التنفيذي في حزب الله سماحة السيد هاشم صفي الدين، وبمشاركة العديد من الشخصيات والباحثين من عدّة دول.

يحتوي الكتاب على مقدّمة، بقلم الشيخ حسن بغدادي العاملي (المشرف على أعمال المؤتمر)، وعلى افتتاحية المؤتمر، كما يحتوي على فصولٍ أربع تضم عشرين بحثاً.

يُعدّ هذا الكتاب وثيقة تُضاف إلى بقيّة ما كُتب حول هذا العالم الجليل الشيخ الحر العاملي (طاب ثراه).

شكّل المؤتمر دافعاً جديداً لمدّ جسر العلاقات العلمية التي انتهجها السّلف الصالح من علماء جبل

عامل من لبنان إلى خراسان، عبر إحياء نهج العلامة الحر العاملي، ذلك العالم النّحرير الذي لم يعرف الكلل ولا الملل، فجدَّ واجتهد وشمّر عن ساعديه بهمةٍ إستثنائية، فخطّت أنامله لآلىء خالدة أضاءت الطريق ومازالت إلى يومنا محلّ حاجة لكل فقيه وباحث في علوم أهل البيت عليهم السلام.

الحر العاملي الفقيه المحدّث والشاعر، إحياءُ ذكراه ليس إحياءً لشخصٍ فحسب، إنّما هو إحياءٌ لمدرسة آل البيت عليهم السلام كما عبّر آية الله العظمى الشيخ حسين النوري الهمداني في الرسالة التي وجّهها سماحته إلى المؤتمرين.

لقد عالج الكتاب العديد من العناوين المرتبطة بالنتاج العلمي للعلامة الحر، ضمن فصولٍ أربع: عالج الفصل الأول السيرة والمرحلة السياسية؛ فركّزت الأبحاث على محطات مضيئة من سيرة الشيخ الحر، فعرّفت بأصل العائلة (الحر)، ثم بالجذور التاريخية للعلاقات اللبنانية الإيرانية التي هي علاقة موغلة في أعماق الزمن منذ أيام الإمبراطورية الفارسية أي منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى اليوم.. وقد تنوّعت هذه العلاقات التي وثّقت عُرى التواصل بين البلدين، واختلفت قوةً وضعفاً تبعاً للظروف المحيطة بها، فكانت العلاقات السياسية والإقتصادية والسياحية والثقافية والعلمية إلخ.. وأسهم علماء جبل عامل بشكلٍ لافت في رسم ملامح هذا التفاعل بين البلدين ومنهم العلامة المحدث الحر العاملي قدس سره.

كما تمّ التركيز في أبحاث هذا الفصل على الهجرة العاملية إلى إيران وتأثير حضور علماء جبل عامل في

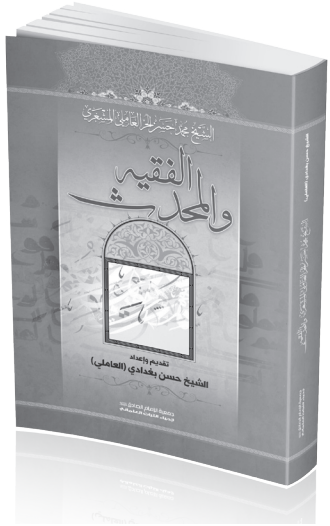

إيران إبّان الدولة الصفوية، وما رافق هذا الحضور من تطورات فكرية ومعرفية وتأثير عاملي على المجتمع الإيراني، ولماذا العامليون دون غيرهم من العلماء سيما وأنّ النجف الأشرف، غالبية علمائه كانت من الإيرانيين؟

وأيضاً دور وموقع الحر العاملي في لبنان وإيران، فقبل الهجرة إلى إيران كان لشيخنا الحر مكانة علميّة في جبل عامل، فعلى سبيل المثال: نذكر أنه أنهى تأليف ثلثي كتابه (وسائل الشيعة) في بلدته مشغرة على ما ذكر في خاتمته. ثمّ إن سمعته العلمية سبقته إلى إيران، لذا نجد العلامة المجلسي وعلماء آخرين قد احتفلوا به احتفاءً كبيراً حين قدومه إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية.

أمّا الفصل الثاني الذي كان بعنوان المنهج العلمي عند الحر العاملي

فقد ركّز الباحثون على بعض النتاج العلمي للعلامة الحر، سيّما الرؤية القواعدية للشيخ الحر واقترابها من نظرية هرميّة القواعد، أيضاً رسالة الشيخ

الحر في الغناء والتي بحثها رحمه الله في ثلاث مواضع، ثم الحديث عن التراث الحديثي للشيخ الحر سيّما إنجازاته في كتابه الخالد (وسائل الشيعة)، وهنا أشار بعض المشاركين إلى موقع الشيخ الحر كفقيه محدّث، شقّ طريقاً مختلفاً عمّا سار عليه علماء المدرسة الأخبارية الذين التزموا الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام، معتقدين بقطعية الصدور والدلالة، بينما نرى الشيخ يوسف البحراني، والشيخ محمد حسن الحر العاملي، يلتزمان خط الإعتدال، وفي نفس الوقت لم يذهبا إلى المنحى الأخباري الصرف، من خلال الإلتزام بالأحاديث، ونرى الشيخ البهائي يفعِّل الآليات والقواعد التي يصل من خلالها إلى نص الحديث، بمعنى أنّه كان ملتفتاً إلى ضرورة البحث في القواعد، وإن ذهب إلى الإلتزام بهذه القواعد المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

في الفصل الثالث، توقّف الباحثون عند شعر الحر العاملي وأدبه وهو القائل:

علمي وشعري اقتتلا واصطلحا
فخضع الشعر لعلمي راغماً
فالعلم يأبى أن أعدَّ شاعراً
والشعر يرضى أن أعدّ عالما

بلغ شعر الحر ما يزيد على العشرين ألف بيت، في عناوين متعددة، وقد أشار بعض الباحثين، إلى شعر وأدب الشيخ الحر، الذي فُقد الكثير منه، وهنا سنحاول معرفة مفهومه الشعري وخصائص شعره من خلال قراءة في مصدرين: أولهما شذرات نقتبسها من كتابه (أمل الآمل) وثانيهما ما يتوفّر لدينا من نصوص شعرية من ديوانه الذي لا يزال مخطوطاً، في مكتبتي الإمام الحكيم في النجف الأشرف، و(ملك) في طهران.

وكما أشرت فقد نظم في عناوين عديدة منها:

رحلته، كما قال في ترجمة الشيخ نجيب الدين الجبيلي ثم الجبعي، وهذه المنظومة من ألفيي وخمسمائة بيت، يقول: وكتب على ظهرها من شعري هذه الأبيات:

يا رحلةً بديعة في فنّها
كاملة في لطفها وحسنها

وذكر رحمه الله في (أمل الآمل) عندما ترجم لنفسه سنة ١٠٧٣هـ أنّ له ديوان شعر يقارب عشرين ألف

بيت أكثره في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام، وهناك منظومة في المواريث، والزكاة، ومنظومة في الهندسة، ومنظومة في تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام.

ومن شعره رحمه الله، عندما كان في (منى) حيث وصله نبأ رحيل والده الشيخ حسن الحر وهو في طريقه إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فأنشد هذه الأبيات:

كُنتُ أرجو والآنَ خابَ رجائي
صُرِّفَتْ هِمّتي وطالَ عنائي
عَزَّ منِّي العَزاءُ في الدّهر
إذْ أودى إلى صَرْفِه فَذلَّ إبائي
أَخبروا عنهُ في مِنى والمُنَى تَدْنو
وصرفُ المنونِ عنّي نائي
فَمِنى كربلاءُ عندي وعيدُ النّحرِ
أضحَى كيوم عاشوراءِ
ليسَ شيء من الجواهرِ أغلَى
ثَمناً من جواهرِ الفُضَلاءِ
فلهذا هُمْ أقلُّ بقاءاً
لَيتَهُمْ خُصصوا بطولِ البقاءِ
لا تلُمني على البُكاءِ عسى أنْ
يَذْهَب اليوم بعض وجدي بكائي

أيضاً يجب أن نفهم طبيعة شعر تلك المرحلة، وماذا كان يستهوي الشعراء، وهذا كما يظهر من شعرهم أيضاً، يمكن معرفته من خلال بعض القصائد أو الأبيات التي أدخلوها في مصنفاتهم، كمعجبين بها، وتُظهر ثقافة تلك المرحلة، فمنها على سبيل المثال إعجابه ببعض أبيات ابن العميد محمد بن الحسين:

قامت تُضلّلني من الشمس
نفس أعزُّ علي من نفسي
قامت تضلّلني ومن عجبٍ
شمسٌ تُضلّلني من الشمس

وهنا أستطيع القول، أنّ البحث الذي قدّمه الدكتور عبد المجيد زراقط في شعر وأدب الشيخ الحر العاملي في هذا الكتاب، يصلح ليكون معبراً إلى فهم طبيعة الشيخ الحر في الشعر والأدب، فلم يكن الشيخ الحر هاوياً للشعر، ولديه الوقت الكافي في إطلاق العنان لقصائده، بقدر ما تقف على قلم عالم أديب لغوي فقيه ومحدّث، فترى كل هذه العناوين في قصائده ومنظوماته.

الفصل الرابع: مساهمات الحر العاملي في بناء الحضارة الإسلامية

عندما نعود إلى مجموع ما يُبحث في هذا الفصل، نجد أنّنا نبحث عن شخصية استثنائية جامعة، فكما تراه يبذل جهده في الحديث، من خلال كتابه وسائل الشيعة، كذلك هو يُعالج عدة عناوين لها علاقة بالعقيدة الإسلامية، وبما عليه المجتمع الإيراني آنذاك، فمسألة (الصوفية) من العناوين

الشائكة، والتي لها رواج كبير بين الإيرانيين في تلك المرحلة، حيث انطلى على كثيرين، عدم الفرق بين الدروشة الناتجة عن الفساد العقائدي، والذي كان معبراً لتضليل الناس، وبين الزهد الحقيقي الناتج عن السلوك الذي يدعو صاحبه إلى العزوف عن المظاهر والشهوات.

في الوقت الذي يدعوه تكليفه للتصدي للشأن العام، وإقامة العدل، ورفض الإنزواء، فيكون الزهد منسجماً مع التطلع إلى حياة كريمة أو إلى مسؤوليات إجتماعية جسام، فالإعراض عن الدين، هي دنيا الحرام، والشهوات الحيوانية التي تبعد عن الإنسانية، هذا الموضوع عالجه الحر العاملي من خلال كتابه الذي صنّفه في الرد على الصوفية وسمّاه (الرسائل الإثنا عشرية في الرد على الصوفية)، وقد عالج الدكتور طراد حمادة، هذا الموضوع بنقدٍ فلسفي معاصر، كي يكون هذا المبحث معبراً لفهم حقيقة هذه (الصوفية)، لذلك كان لا بُد من النظر في مناسبتها، ومقاصدها ومنهجها، وتكون هذه المقاربة رداً على رد.

كذلك عالج الشيخ الحر موضوع (الهندسة)، ونظم أرجوزة في الهندسة، وهذا يكشف عن الدور الطليعي الذي تميّز به الشيخ الحر العاملي، فهو لم يقف عند التخصص السائد لعالم الدين في الفقه والأصول والحديث وإنما كان يُراكم معرفته العلمية في مختلف العلوم، فهذه الأرجوزة التي تبحث في حساب الأفلاك، وفيها التمارين الذهنية (الألغاز)، وفيها المواعظ والأحاديث القدسية، وفيها الغزل المندمج مع مصطلحات الهندسة، وقد قدّم الدكتور نسيب حطيط، بحثاً بعنوان (تحليل أرجوزة الهندسة) للشيخ الحر العاملي، وقد نقل د. حطيط هدف الأرجوزة التي أشار إليها الشيخ الحر نفسه في صفحة ١٠ من المخطوطة "فإنّ جماعة من الفضلاء وطائفة

من الأصدقاء التمسوا مني رسالة تكون مقدمة وآلة في إنشاء براهين الهندسة والعلوم الحسابية للأعمال الجبرية والمساحة».

هذه المقدمة من الشيخ الحر، نستطيع أن نفهم منها، نمط تفكيره، وأنه من الذين عملوا على توسعة فروع الفقه، بما يتلاءم مع مصالح الناس والتطور، ولم يقتصر في أحكامه الفقهية على ما ورد في النصوص الشرعية فقط، طبق المنهج الأخباري، المعتقد بقطعية الصدور والدلالة، بينما الإتجاه الفقهي يلتزم العمل على توسعة فروع الفقه، والبحث عن الآليات والقواعد التي تساعد في عملية الإستنباط.

في الختام:

نحن لا ندعي أنّنا تمكنا من استيفاء جميع المطالب العلمية التي حاز عليها وبحثها الحر العاملي، إذ لا يمكن أصلاً في مثل هذه المؤتمرات بلوغ جميع هذه العناوين، فالهدف من إقامة هكذا مؤتمرات، أولاً: هو تكريم هذه الشخصية، بما لها من حق علينا، وثانياً: البحث والإطلالة على ما أمكن من عناوين ذات الصلة بشخصية (المحتفى به)، على أمل أن نكمل الجلسات الأخرى في إيران، كما اتفقنا مع الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب سماحة الشيخ محسن الآراكي، وإذا ما تمّ ذلـك، فنكون قد أنجزنا كامل البحث والتنقيب في آثار هذا العالم الجليل.

وأنا بـدوري لا يسعني إلا أن أشكر كل الذين ساهموا في نجاح هذا المؤتمر، ابتداءً بالرعاية الكريمة لسماحة الأمين العام لحزب الله، التي أعطت بعداً سياسياً في مرحلةٍ غاية في التعقيد، فلا يوجد تبعيض في المشروع الإسلامي الذي نحمله، ولا تقسيط في المواجهة، فإطلاق النار على العدو، وعقد مؤتمر فكري وتصدي لعملٍ سياسي معيّن، كلّ ذلك يصبّ في خندق المواجهة والتحدّي.

نصحه بعدم السفر في أي قافلة إذا كان هذا الرجل الشامي في عدادها

إنّـه العلامة الحجة الشيخ زين الدين العاملي، المعروف بـ (الشهيد الثاني)، والمستشهد في (اسطنبول) عاصمة الدولة العثمانية، 8شعبان 965هـ.

عندما كان الشهيد يعزم على السفر، من أجل لقاء علماء المذاهب الإسلامية في مختلف العواصم، كان يترك عائلته في (جباع)، وكانت أسفاره تستغرق عدّة أشهر، والعائلة تحتاج إلى من يصرف عليها، ونفس الشهيد يحتاج إلى مصارفات وهدايا، وهذا يحتاج إلى (تمويل)، فقد قيّض الله تعالى الحاج شمس الدين محمد بن هلال، للقيام بمساعدة الشهيد الثاني مالياً، وكان الحاج محمد قد نصح الشهيد بعدم السفر إذا كان هذا الرجل (الشامي) – رجلٌ يعرفه الحاج محمد - موجوداً في القافلة، لأنه مؤذٍ، وسيعمل على النصب والإحتيال، وصادف وجود هذا الرجل (الشامي) بالقافلة عندما قرّر الشهيد التوجه إلى (مصر) من أجل لقاء علماء المذاهب الإسلامية، ولكن الشهيد على ما يبدو كان مصمّماً على السفر ومتكلاً على الله تعالى، فلم يأخذ بهذه النصيحة، وعندما وصلت القافلة إلى بلدة (قطبة)، والشهيد يحمل مالاً، فطلب حاكم البلد من القافلة أن يُخرجوا (خراج أموالهم)، وإذ بالشهيد يلتفت إلى ذلك الرجل الشامي يقول للشرطة: "هذا الرجل الذي قلت لكم عنه، فقال له الشهيد وماذا قلت لهم؟ قال: قلت لهم هذا الرجل ذاهب إلى (مصر) لطلب العلم، وقد مدّه الحاج محمد بالمال"، وعندما وصل الدور إلى الشهيد لم يُطالبوه بشيء، وعندما خرجت القافلة من عند الوالي، التفت ذلك اللعين الشامي إلى الشهيد، وقال له: "لا شك أنّ معك لجاماً تلجم به الناس"، ثم غيّر الله قلب ذلك الرجل الشامي ودفع شرّه عن الشهيد، وكان رأس مال الشهيد آنذاك نصف جمل.

هذه واحدة من الكرامات التي كانت تحدث مع الشهيد الثاني أثناء سفره، سواء إلى عواصم العالم العربي أو إلى اسطنبول عاصمة الدول العثمانية، وقد خطّ الشهيد بيده جملة من هذه الكرامات، التي إن دلّت على شيء فإنها تدلّ على التسهيل الإلهي له في مهامه، وعلى عميق إيمانه في التوكل على الله عزوجل، فلم يترك مساحة لنفسه ولم يكن باحثاً عن جاه أو تقرّبٍ من السلطان، بقدر ما كان همّه خدمة هذا الدين، والوقوف على وحدة المسلمين دفعاً للأضرار المحدقة بهم من وعاظ السلاطين وجشع السلطة العثمانية، بالإضافة إلى الإطلاع عن قرب على مباني فقهاء المذاهب، كي يكون فعلاً من الذين بذلوا الجهد في الإطلاع على كل مباني الفقه، حتى إذا ما حكم بحكمٍ شرعي يكون قد استنفذ كافة الوسائل.